العام في كتاب البسيط للواحدي

دكتور

السيد عبد ربه محمد رجب

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد فالق الإصباح ، وخالق الكون على وجه النفع والصلاح ، وهادي البشرية إلى الخير والفلاح ، والصلاة والسلام على أفضل الرسل مقاماً ، وأفصحهم كلاماً وأعظمهم إماماً ، سيدنا محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه ومن ولاه .

ثم أما بعد ،،،

فإن البحث في علوم القرآن الكريم وتعرف معانيه غاية منشودة ، ومطالعة أسراره ومكنوناته بغية ممدودة ، يجد المرء نفسه مدفوعاً إليها وإن كانت طاقاته محدودة ، فهو الكتاب المبين ، الهادي إلى الرشد بمشيئة الله رب العالمين ، لا يمل الإنسان من النظر إليه ولا يكل من المثول بين يديه ، فهو الهداية والهدى ، وهو السعادة والرضا ، مصدر علوم السابقين ، وملهم شروح اللاحقين ، ومبعث فتوحات الله للعارفين .

عنى به العلماء العناية ، فألفوا حوله من الدراسات والبحوث ما يعجز عن إحصائه ، فتناولوه من وجوهه وجوانبه كافة ، كلٌّ يدلى بدلوه محاولاً الوصول إلى مالم يصل إليه غيره ، وتنافساً في الخير في أعظم مضمار ، واحتساباً للأجر من العزيز الغفار ، وكان من أشرف ما أقيم حوله من دراسات ، وصنف فيه من علوم علمُ تفسير القرآن وقد وجدت – بعد توفيق الله وعونه – كتاب البسيط للإمام الواحدي – رحمه الله – من أجل التفاسير التي اهتمت بالجانب اللغوي اهتماماً ملحوظاً ، ليس في مستوى بعينه ولكن في مستويات اللغة كافة ، فعقدت العزم على دراسة إحدى الظواهر الدلالية فيه فوقع اختياري على دراسة ظاهرة العموم ، راجياً المولى الكريم ان يمن عليَّ بالتوفيق والسداد.

دوافع دراسة ظاهرة العموم في التفسير البسيط للواحدي :

١- يعد كتاب البسيط من أشمل التفاسير التي عنيت بالدراسات اللغوية ، وبخاصة الدلالية منها ، ولألفاظ العموم فيه حظ وافر ، فرأيتها ظاهرة جديرة بالبحث .

٢- محاولة الوقوف على الألفاظ ذات الدلالات الكلية التي لا غنى للباحثين في الحقل اللغوي عن معرفتها .

٣- الربط بين دلالات الألفاظ وأصولها اللغوية ، ومعرفة الاستعمالات الحقيقية منها والمجازية .

وقد اتبعت في دراسة هذه الظاهرة المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم على عرض الأمثلة المدروسة ومناقشتها في ضوء أقوال علماء اللغة السابقين ، واستعراض ما يؤكد صدق أقوال الواحدي فيما ذكره من أمثلة ظاهرة العموم في كتاب البسيط في تفسير القرآن .

وقد اقتضت خطة هذا البحث أن يخرج في مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة وفهرسين للمراجع والموضوعات ، وبيان ذلك فيما هو آتٍ :

المقدمة : وفيها ذكرت موضوع هذا البحث ودوافع اختياري له ، والمنهج الذي اتبعته فيه ، والخطة التي سرت عليها في إعداد البحث .

التمهيد : وجعلته بعنوان : ترجمة الواحدي ، وفيه قدمت ترجمة موجزة للعلامة الواحدي مع ذكر مؤلفاته .

المبحث الأول : وقد جعلته بعنوان : ظاهرة العموم في الفكر اللغوي عند العرب .

وذكرت فيه تعريف العام (**العموم**) في اللغة والاصطلاح مبيناً عناية علماء اللغة به .

المبحث الثاني : وجاء بعنوان : العام في كتاب البسيط للواحدي .

وفي هذا المبحث ذكرت طائفة من الألفاظ ذات الدلالات الكلية يعبر عنها

بلفظ (كل) ، وقد ++عرضت ذلك بالبدء بذكر جزء الآية المشتمل على اللفظ موضع الدراسة وأعقبته بعبارة الواحدي ، ثم أردفت ذلك بأقوال بعض أئمة اللغة ذات الصلة .

الخاتمة : وفيها ذكرت أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث .

الفهارس : وهما فهرسان، أحدهما للمراجع، وثانيهما للموضوعات .

وبعدُ... ، فهذا لحث أرجو الله – تعالى – أن ينفع به كما أستمد منه – سبحانه – التوفيق والعون والرشاد .

دكتور

السيد عبد ربه محمد رجب

تمهيد

ويشتمل : ترجمة الواحدي ، وذكر أهم مؤلفاته .

أولاً : ترجمة الواحدي :

اسمه ونسبه : هو علي بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي [(١)].

والواحدي نسبة إلى الواحد بن الدين بن مهرة [(٢)]، وبنو مهرة قبيلة عربية مشهورة ترجع إلى قضاعة [(٣)].

وشهرته بالواحدي هى المشهورة والمذكورة في مصادر ترجمته ، أما النيسابوري فهي نسبة إلى موطنه نيسابور ولم يشتهر بها .

كنيته : أكثر المصادر على أن كنيته أبو الحسن ، سوى القفطي في "**إنباه الرواة**" فإنه قال : " الحسين" [(٤)] ولعل ذلك كان منه على سبيل التصحيف.

مولده : لم تكر المصادر التي ترجمت للواحدي تاريخ ميلاده ، شأنه في ذلك شأن كثير من العلماء الأعلام ، الذين أُهملت تواريخ ميلادهم فلم تعرف إما لعدم البحث عنها ، أو لانتفاء ما يستوجب تسجيلها ، وفي الغالب يعرف للعلماء – قديماً – تاريخ وفاتهم لا ميلادهم، لأن العالم منهم ساعة ميلاده لا يعرف له إنجاز ، أما بعد نبوغه وتفوقه يصير واحداً من الأفذاذ ، ومن ثم تعرف وفاته وتسجل.

وفاته : توفى أبو الحسن الواحدي سنة ٤٦٨ في شهر جمادى الآخرة

---

(١) ينظر ترجمته في: دمية القصر وعصرة أهل العصر ١٠١٧/٢ ، معجم الأدباء ١٢/ ٢٥٧ ، سير أعلام النبلاء ٢٢٩/١٨ ، طبقات الشافعية الكبرى ٣/ ٢٩٩ ، بغية الوعاة ١٢/ ١٤٥ ، طبقات المفسرين للسيوطي ص ٦٦ ، طبقات المفسرين للداودي ١/ ٣٩٤ .

(٢) وفيات الأعيان ٣ / ٣٠٤.

(٣) جمهرة انساب العرب لابن حزم ص ٤٤٠.

(٤) إنباه الرواة للقفطي ٢ / ٢٢٣.

بنيسابور[١] بعد معاناة طويلة مع المرض ، ومات وهو في السبعين من عمره [٢].

مذهبه وعقيدته : كان الواحدي – رحمه الله – شافعي المذهب أشعري العقيدة ، ولعل سبب العلاقة بين الشافعي والعقيدة الأشعرية ، وهو أن حاملي عقيدة الأشعرية في المشرق الإسلامي كان معظمهم من الشافعية وقد لقبه بعض من ترجموا له ونسبوه إلى المذهب الشافعي ، فقالوا في ترجمته الواحدي الشافعي [٣].

شيوخه وتلاميذه :

أولاً : شيوخه :

عاش الواحدي في مدينة نيسابور معدن الفضلاء ومنبع العلماء [٤]، وتنقل في أرجاء العالم الإسلامي يأخذ العلم من علماء اللغة والنحو والأدب والتفسير وقد أدرك الإسناد [٥] وقرأ الحديث على المشايخ لذلك كثر شيوخه وعز حصرهم .

وقد ذكر الواحدي في مقدمة كتابه البسيط فقال : " ولو أثبت المشايخ الذين أدركتهم واقتبست عنهم هذا العلم من مشايخ نيسابور وسائر البلاد التي وطئتها طال الخطب ومل الناظر"[٦].

وفيما يلي ذكر شيوخ الواحدي :

١- أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد الله بن يوسف العروضي المعروف بالصَّفَّار[٧].

---

(١) ينظر: معجم الأدباء ١١/ ٢٥٨ ، إنباه الرواة ٢/٢٢٤ ، وفيات الأعيان ٣/٣٠٤.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٤٢ .

(٣) ينظر: سير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٣٩ ، شذرات الذهب ٣/ ٣٣٠ .

(٤)ينظر: معجم الأدباء ١/ ٥.

(٥) ينظر: إنباه الرواة ٢/ ٢٢٣ .

(٦) مقدمة البسيط ٤٩٥.

(٧) السابق ص ٤٢٠.

٢- علي بن محمد بن إبراهيم بن عبد الله الضرير[١].

٣- أبو الحسن عمران بن موسى المغربي [٢].

٤- أبو القاسم علي بن أحمد البيتي ، أحد شيوخه في القراءات[٣].

٥- أبو الحسن علي بن محمد الفارسي [٤].

٦- أبو إسحاق أحمد بن محمد إبراهيم الثعلبي صاحب تفسير الكشف والبيان [٥].

هذا وشيوخ الواحدي كثيرون لكثرة العلوم التي تلقاها عنهم ، وفي هذا إشارة إلى سعة علمه ووفرة ثقافته ، ورغبته في تحصيل العلم من كل سبيل تيسر له .

ثانياً : تلاميذه:

تتلمذ على الواحدي خلق كثير ، أخذوا عنه العلم ، يقول القفطي : " ... وسار الناس إلى علمه واستفادوا من فوائده " [٦].

وفيما يلي ذكر أسماء بعض تلاميذه :

١- عبد الجبار بن محمد بن أحمد الخواري [٧].

٢- أبو نصر محمد بن عبد الله الأرغياني الفقيه الشافعي ، مفتي نيسابور[٨].

٣- أبو العباس عمر بن عبد الله الأرغياني [٩] ، أخو أبي نصر السابق .

٤- أبو بكر يحيى بن عبد الرحيم بن محمد المقري [١].

---

(١) السابق ص ٤٢٠.

(٢) السابق ٤٢١.

(٣) مقدمة البسيط ٤٢١ ، ٤٢٢.

(٤) مقدمة البسيط ٢٢٤ .

(٥) معجم الأدباء ٥/ ٣٦ – ٣٨ ، وفيات الأعيان ١/ ٧٩.

(٦) إنباه الرواة ٢/ ٢٢٣.

(٧) ينظر : طبقات المفسرين للسيوطي ص ٦٧.

(٨) ينظر : طبقات الشافعية للسبكي ٤/ ٧٠.

(٩) السابق ٤/ ٧٠ .

٥- أحمد بن محمد بن أحمد الميداني النيسابوري [٢] ، صاحب مجمع الأمثال .

٦- أبو القاسم يوسف بن علي بن جبارة الهذلي [٣] الإمام المقرئ .

٧- محمد بن الفضل بن أحمد الفراوي أبو العباس الصاعدي [٤].

هذا ، وللواحدي – كما ذكرت – تلاميذ كثيرون ، وأرى فيما كرت منهم كفاية تفي بالغرض في هذا البحث .

ثانياً : مؤلفات الواحدي :

عاش الواحدي حياته شغوفاً بالعلم وتحصيله ، وقد هيأ الله أسباب العيش الآمن والرزق الوافر ، فشحذ همته للتفنن في صنوف المعرفة ، لا سيما المتعلق منها بالقرآن الكريم ولغته العربية ، فألف فيها الكثير من مصنفاته ، وقد كُتب لطائفة عظيمة منها الاستحسان والقبول ، حتى ذاع صيتها ، وطار ذكرها في الآفاق .

وفيما يلي ذكر مؤلفاته المقطوع بنسبتها إليه :

١- البسيط [٥] : وهو تفسير القرآن الكريم – موضوع البحث – ويعد أكبر كتبه في هذا المجال الشريف .

١- الوسيط [٦] : وهو في التفسير – أيضاً – غير أنه وسط بين كتابه البسيط – سابق الذكر – وكتابه اللاحق الوجيز .

٣- الوجيز [٧]: وهو أصغر كتبه في تفسير القرآن العزيز .

---

(١) التحبير في المعجم الكبير للسمعاني ٢/ ٣٧٧.

(٢) ينظر : وفيات الأعيان ١/ ١٤٨.

(٣) ينظر : غاية النهاية ١/ ٥٢٣.

(٤) طبقات الشافعية للسبكي ٦/ ١٦٦.

(٥) ينظر : إنباه الرواة ٢/ ٢٢٣ ، معجم الأدباء ٤/ ١٦٦٠.

(٦) ينظر : معجم الأدباء ٤/ ١٦٦٠.

(٧) السابق الصفحة نفسها .

٤- تفسير النبي - ﷺ - [١] .

٥- أسباب النزول [٢].

٦- فضائل القرآن [٣].

٧- مسند التفسير [٤].

٨- نفي التحريف عن القرآن الشريف[٥].

٩- شرح ديوان المتنبي [٦].

١٠- الإغراب في الإعراب [٧].

١١- التحبير في شرح أسماء الله – تعالى – الحسنى [٨].

١٢- الدعوات [٩].

١٣- المغازي [١٠].

هذه هي أهم كتب الواحدي التي قُطع بنسبتها إليه ، وصرح بها كثير ممن ترجموا له ، وبهذا يعد الواحدي موسوعي العلم غزير المعرفة أثرى المكتبة الإسلامية بالعديد من المؤلفات الرصينة النافعة .

❁❁❁

(١) ينظر : سير أعلام النبلاء ١٣/ ٤٥٣.

(٢) ينظر : الوافي بالوفيات ٢٠ ، ١٠٢.

(٣) كشف الظنون ٢/ ١٢٧٧.

(٤) الوسيط ٤/ ٢٠٧.

(٥) إنباه الرواة ٤/ ٣٩٠ ، طبقات الشافعية للسبكي ٥/ ٢٤١.

(٦) سير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٤٠.

(٧) طبقات المفسرين للداودي ١/ ٣٩٥.

(٨) وفيات الأعيان ٣/ ٣٠٣.

(٩) سير أعلام النبلاء ١٨ ، ٣٤١.

(١٠) طبقات المفسرين للداودي ١/ ٣٩٥.

المبحث الأول
ظاهرة العموم في الفكر اللغوي عند العرب

مقدمة :

إن الألفاظ العامة التي تزخر بها لغتنا الغراء تعد بمثابة قواعد كلية، تنضوي تحتها العديد من المعاني التي تنسجم وفق ضابط واحد ، بحيث تصير الألفاظ المعبرة عنها دالة عليها عند إطلاقها .

ولهذا شاع في إيقاع دلالة العام على معانيه لفظة "كل" ، فيقال مثلاً : كل أرض مستوية فهي صعيد ، وكل شيء دب على وجه الأرض فهو دابة ... ونحو ذلك .

تعريف العام (العموم) في اللغة :

درج كثير من اللغويين – وبخاصة المحدثون منهم – على استعمال لفظ العموم في معنى العام ، ومن ثم كان معناهما في اللغة واحداً ، فالعامُّ : اسم فاعل من الفعل الثلاثي عمَّ بمعنى شمل ، والعموم هو مصدر هذا الفعل ومعناه الشمول ، ومن ذلك تقول عمَّ الشيء يعم عموماً فهو عام أي : شمل يشمل شمولاً فهو شامل .

يقول الجوهري : " وعم الشيء يعم عموماً : شمل الجماعة "[1].

وقال ابن فارس : "عمنا هذا الأمر يعمنا عموماً : إذا أصاب القوم أجمعين "[2].

تعريفه في الاصطلاح :

لا يكاد المفهوم الاصطلاحي للعموم يختلف كثيراً عن مفهومه اللغوي ،

(١) الصحاح ٥/ ١٩٩٣(عمَّ).

(٢) مقاييس اللغة ٤/ ١٨ (عم).

ولذلك تراه متقارباً في المفهومين إلى حد كبير ، يقول ابن فارس في تعريفه : " العامُّ : الذي يأتي على الجملة لا يغادر منها شيئاً "[١].

وذكر السيوطي تعريفه فقال : " العام : الباقي على عمومه ، وهو ما وضع عاماً واستعمل عاماً "[٢].

عناية اللغويين بالعام :

تنوعت عناية اللغويين بالعام ، وتفاوت اهتمامهم به ، فمنهم من أورد كثيراً من ألفاظه في كتبه دون تخصيص ، ومنهم من عقد له بابا أو نوعاً يجمع العديد من ألفاظه ، ومنهم من خصه بمؤلف مستقل .

فمن أمثلة النوع الأول : ما أورده كثير من اللغويين في مؤلفاتهم متفرداً على نحو ما نراه في كتب المعاجم وغيرها .

ومن أمثلة النوع الثاني : ما فعله الثعالبي وابن سيده والسيوطي ، حيث عقد له كل من الثعالبي وابن سيده باباً أسماه الثعالبي في كتابه فقه اللغة " **في الكليات**" [٣] بينما أسماه ابن سيده في مخصصه " باب الألفاظ الدالة على العموم والخصوص [٤] في حين ذكره السيوطي في المزهر في النوع التاسع والعشرين تحت عنوان " معرفة العام والخاص"[٥].

ومن أمثلة النوع الثالث : ما فعله الكفوي حين خصه بمؤلف مستقل أسماه " الكليات " وهو مطبوع مشهور .

ومن هذا التنوع في المعالجة والتناول لألفاظ العموم تبرز أهميته وتبرز بصورة جلية عناية العلماء واحتفاؤهم به ، لما له من أثر واضح لا تستغنى عن مثله

---

(١) الصاحبي في فقه اللغة ص ١٥٩.

(٢) المزهر للسيوطي ١/ ٣٣١.

(٣) ينظر : فقد اللغة للثعالبي ص ٢٥ – ٣٠.

(٤) ينظر : المخصص لابن سيده ٥/ ٢١٣ ..

(٥) ينظر: المزهر للسيوطي ١/ ٣٣١.

اللغة ؛ لأن : " الألفاظ الدالة على معان عامة سواء في عالم المادة أو في عالم المعنويات هي مما يحتاج إليه الإنسان في مراحل ارتقائه الفكري ، ذلك أنه لابد من إطلاق الأحكام العامة الشاملة لأنواع كثيرة من الموجودات والحوادث والأفعال ، وتصوير آفاق الكون الواسعة "[1].

❁❁❁

(١) خصائص العربية ومنهجها الأصيل في التجديد والتوليد د/ محمد المبارك ص ٦٤.

المبحث الثاني
(ألفاظ العام في كتاب البسيط للواحدي)

نص الواحدي – رحمه الله – على ألفاظ كثيرة في تفسيره البسيط يكتنفها معنى العموم ، وعبَّر عنها – جميعاً – بلفظ " كل" ، وكان في بعض المواضع يصرح بنسبة تلك الأقوال إلى سابقيه كأن يقول مثلاً : "وقال شمر : وكل مكان لا يدري ما فيه غيب " ... إلخ .

وكان في بعضها الآخر يطلقها دونما عزو أو نسبة ، وفي هذه الحال لا تبعد أن تكون الأقوال من ذكره وقوله ، وليس هذا بمستبعد ؛ فالواحدي ذو قدم راسخة في العلم ومكانة سامقة في اللغة .

وفيما يلي عرض لطائفه من ألفاظ العموم التي ذكرها الواحدي مشفوعة بالتوضيح والمقابلة على بعض كتب اللغة التي عُنيت بهذا الجانب من الدراسات اللغوية :

١ـ (أُمّ) :

في قول الله – تعالى – : {وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ} [(١)].

يقول الواحدي : " أي بعد حين من الدهر ، وذلك لجماعة الشهور والأعوام ، وأم النجوم : المجرة ، لأنها مجتمع النجوم ، وكل شيء انضمت إليه أشياء فهو أم لها ، وأم القوم : رئيسهم الذي يجتمع إليه أمرهم ..." [(٢)].

بهذا النص قد أضفى الواحدي على لفظ الأم معنى العموم ، فكل شيء انضم إليه أشياء فهو أم لها ، فالمجرة أم النجوم ؛ لأنها تجمعها ، ورئيس القوم أمهم ؛ لاجتماع أمرهم إليه .

---

(١) يوسف الآية (٤٥).

(٢) البسيط ٣/ ٣١٨ ، ٣١٩.

وهذا الذي ذكره الواحدي منصوص عليه في كثير من كتب اللغة ، فأم كل شيء أصله ، ومن ثم تتفرع منه أفراده ، يقول الأزهري :" أم الشيء" أصله" [١].

وفي العين يقول الخليل مؤصلاً هذا التعميم : " اعلم أن كل شيء يضم إليه سائر ما يليه فإن العرب تسمى ذلك الشيء أمًّا " [٢] وقد نقل هذا القول ابنُ فارس في مقاييسه [٣].

وذكر ذلك الكفوي في الكليات حيث قال : " كل جماعة يجمعها أمر أو دين أو زمان أو مكان واحد ، سواء كان الأمر الجامع تسخيراً أم اختياراً فهي أمة "[٤].

٢ـ (ثخن)

في قول الله – تعالى – : {**مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ**}[٥].

يقول الواحدي : " قال أهل المعاني : الإثخان ههنا معناه : تغليظ الحال بكثرة القتل ، والثخانة : الغلظ وكل شيء غليظ فهو ثخين "[٦].

إن مما يؤكد ما ذكره الواحدي تتابعَ اللغة على تحرير معنى الثخانة بالغلظة ، فقد جاء في الصحاح " ثخن الشيء ثخانة أي : غلظ وصَلب، فهو ثخين " [٧]، وبمثل هذا ذكره ابن منظور وغيره [٨].

ولهذا فإن معنى الإثخان في الآية الكريمة – كما ذكره الواحدي عن أهل

---

(١) الصحاح ٥/ ١٨٦٣ (أمم).

(٢) العين ٨/ ٤٢٦ (أمم).

(٣) مقاييس اللغة ١/ ٢٢ (أمم).

(٤) الكليات للكفوي ١٧٦.

(٥) الأنفال (٦٧) .

(٦) البسيط ١٠/ ٢٥٦.

(٧) الصحاح للجوهري ٥/ ٢٠٨٧ (ثخن).

(٨) ينظر : لسان العرب ١٣/ ٧٧ ، القاموس المحيط ١١٨٤ (ثخن) .

المعاني ، يُراد به تغليظ العقوبة لمحاربي الإسلام ولا يكون ذلك إلا بكثرة القتل فيها ، حتى يرتدع غيرهم ، يقول الرازي في معرض تفسيره لهذه الآية : " والثخانة : الغلظة ، فكل شيء غليظ فهو ثخين ، فقوله : حتى يثخن في الأرض معناه : حتى يقوى ويشتد ويغلب ويبالغ ويقهر ، ثم إن كثيراً من المفسرين قالوا المراد منه : أن يبالغ في قتل أعدائه ... ولأن كثرة القتل توجب قوة الرعب وشدة المهابة ، وذلك يمنع من الجراءة ومن الإقدام على ما لا ينبغي" [(١)].

٣ـ (ثنى) :

في قول الله – تعالى – : {**فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً**}[(٢)].

يقول الواحدي : " قال الليث : اثنان : اسمان قرينان لا يفردان ـ لا يقال لأحدهما : اثن ... وأصل هذا الحرف في اللغة من الثني وهو ضم واحد إلى واحد ... وأصل الثني في جميع أبنيته : الكف والرد والعطف والطي والحنو ، وكلها متقارب ، وكل شيء عطفته فقد ثنيته "[(٣)].

صرح الواحدي بعموم لفظ الثني ودلالته على كل شيء معطوف ، وهو ما تعضده استعمالات هذا اللفظ في كثير من كتب اللغة ، ففي العين يقول الخليل : "الثني من كل شيء : ما يثنى بعضه على بعض أطباقاً ،كل واحد ثِنْى ، حتى قيل : أثناء الحية مطاويها إذا انطوت "[(٤)].

والأزهري بعد أن ذكر كثيراً من استعمالات هذا اللفظ قرر عموم هذا اللفظ فقال : " ... قلت : وأصله من ثنيت الشيء إذا حنيته وعطفته وطويته ، واثنوني صدره على البغضاء : أي انحنى وانطوى وكل شيء عطفته فقد ثنيته "[(٥)] وتابعه

(١) مفاتيح الغيب ١٥/ ٥١١.

(٢) البقرة (٦٠).

(٣) البسيط ٢/ ٥٧٠.

(٤) العين ٨/ ٨/ ٢٤٢ (ثني) .

(٥) تهذيب اللغة ١٥/ ٩٧ (ثني) .

على هذا القول ابن منظور والزبيدي [١].

ويذكر الكفوي معنى قريباً من هذا فيقول : " الثناء : هو مأخوذ من الثني وهو العطف ورد الشيء بعضه على بعض ، ومنه ثنيت الثوب : إذا جعلته اثنين بالتكرار وبالإمالة والعطف "[٢].

٤ـ (حج) :

في قوله – تعالى – : {**فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ**} [٣].

يقول الواحدي : " قال يعقوب والزجاج : أصل الحج : القصد ، وكل من قصد شيئاً فقد حجَّه" [٤]. تكاد تجمع كتب اللغة على تعريف الحج بالقصد ، فمن حج إلى البيت فقد قصده ، ولهذا فإن عبارة الواحدي المنقولة عن يعقوب والزجاج في عموم لفظ الحج على كل قصد قد أقيمت لها الحجة ، ودَلَّ عليها الاستعمال ، يقول الخليل : " والحج : كثرة القصد إلى من يُعظَّم" [٥] وفي الجمهرة الجمهرة " وأصل الحج : القصد "[٦] ولا ريب أن تأصيل دلالة لفظ الحج على معنى القصد دليل دامغ على عموم معناه في التعبير عنه ، ففي مقاييس اللغة " الحاء والجيم أصول أربعة ، فالأول القصد ، وكل قصد حج "[٧].

ومن تصريفات لفظ الحج في دلالته على معنى القصد يقول الزبيدي : " الحج : القصد مطلقاً ، حجَّ يحجة حجاً : قصده ، وحججت فلاناً واعتمدته :

(١) ينظر : تهذيب العرب ١٤/ ١١٦ ، تاج العروس ٣٧ / ٢٨٣ (ثنى) .

(٢) الكليات ٣٢٤ .

(٣) البقرة (١٥٨).

(٤) البسيط ٣/ ٤٣٧ ، وينظر : معامي القرآن للزجاج ١/ ٢٣٤.

(٥) العين ٣/ ٩ (حج) .

(٦) جمهرة اللغة ١/ ٨٦ (حج) .

(٧) مقاييس اللغة ٢/ ٢٩ (حج).

قصدته ، ورجل محجوج أي : مقصود" [١] وبهذا صار واضحاً عموم معنى الحج ودلالته على كل قصد ، فلا ريب أن يقال : كل من قصد شيئاً فقد حجه ، وهذا ما أقره صاحب الكليات في قوله : كل من قصد شيئاً فقد حجه "[٢].

٥ـ (حرب) :

في قوله تعالى : {**يَحْسَبُونَ الأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا**}[٣].

يقول الواحدي : " الأحزاب : الجماعات ، واحدها حزب ، وهم كل طائفة هواهم واحد ، فالمؤمنون حزب الله ، والكافرون حزب الشيطان ، وكل قوم تشاكلت قلوبهم وأعمالهم فهم أحزاب "[٤].

حين نذكر معنى الحزب نقول : إنه الجماعة ، وجمعه الأحزاب وهي الجماعات لا سيما إذا كانت أهواؤهم متحدة وأعمالهم متفقة ، فدلالة التحزب على التجمع من الوضوح بحيث لا تحتاج إلى استنطاق أو تأويل وهذا ما عليه جل علماء اللغة ، يقول الخليل : " وتحزب القوم : تجمعوا، وحزبت أحزاباً : جمعتهم ، والحزب : أصحاب الرجل على رأيه وأمره ... وكل طائفة تكون أهواؤهم واحدة قهم حزب "[٥].

وقد أصل ابن فارس لذلك بقوله : " الحاء والزاء والباء أصل واحد، وهو تجمع الشيء ، فمن ذلك الحزب : الجماعة من الناس ... والطائفين من كل شيء حزب "[٦].

---

(١) تاج العروس ٥/ ٤٥٩ (حج).

(٢) الكليات ٣٦٠.

(٣) الأحزاب (٢٠).

(٤) البسيط ١٨/ ٢١١.

(٥) العين ٣/ ١٦٥ (حزب) .

(٦) مقاييس اللغة ٢/ ٥٥.

وعلى هذا النحو والتعميم ذكره ابن منظور والزبيدي [١].

٦ـ (حور) :

في قول الله – تعالى – : {**قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ**} [٢].

يقول الواحدي: " وروى شمر عن ابن الأعرابي أنه قال : الحواري: الناصح ، وأصله الشيء الخالص ، وكل شيء خلص لونه فهو حواري"[٣].

بالرجوع إلى كتب اللغة وغيرها تبين أن لهذا الجذر اللغوي ثلاثة أصول يدور في معانيه عليها ، وأحد هذه الأصول هو دلالته على اللون الخالص ، ولعل هذا ما سوغ في معانيه عليها ، وأحد هذه الأصول هو دلالته على اللون الخالص ، ولعل هذا ما سوغ للواحدي تعميم دلالة لفظ حواري ، فقال : كل شيء خلص لونه فهو حواري .

يعضد هذا القول ما ذكره ابن فارس حيث قال : " الحاء والواو والراء ثلاثة أصول :

أحدها لون ... فأما الأول : فالحور شدة بياض العين في شدة سوادها "[٤].

فشدة بياض العين خلوص للون الأبيض ، كما أن شدة سوادها خلوص للون الأسود ومن ثم ساغ إطلاق لفظ الحور لما توفر خلوص اللون فيه .

وكما نقل الواحدي هذا القول عن ابن الأعرابي نقله عنه الأزهري – أيضاً – فقال في التهذيب : " وروي عن شمر أنه قال : " الحواري : الناصح ، وأصله الشيء الخالص ، وكل شيء خلص لونه فهو حواري"[٥] وتابعه على هذا القول ابن

(١) ينظر : لسان العرب ١/ ٣٠٨ ، تاج العروس ٢/ ٢٦٢ (حزب).

(٢) آل عمران (٥٢).

(٣) البسيط ٥/ ٢٩٥.

(٤) مقاييس اللغة ٢/ ١١٥ (حور).

(٥) تهذيب اللغة ٥/ ١٤٨ (حور).

ابن منظور والزبيدي [١].

٧ـ (خمر) :

في قول الله – تعالى - : {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ}[٢].

يقول الواحدي: "وكل مسكر مخالط للعقل مغط عليه فهو خمر"[٣].

عند مطالعة معنى الخمر في كتب اللغة يتبين أنها في مجملها تشير إلى معنى التغطية والتغييب ، بل إن الخمر إنما سميت خمراً لتغطيتها العقل وتغييبه عن الإدراك ، يقول الكفوي : " الخمر : كل شراب معط للعقل سواء كان عصيراً أو نقيعاً ، مطبوخاً أو نيئاً فهو خمر ، وكل شيء غطيته فقد خمرته ، وكل ما يستر شيئاً فهو خماره "[٤].

وفي علة تسمية الخمر يقول ابن دريد : " والخمر : معروفة ، ويقال : سميت خمراً ؛ لأنها تخامر العقل زعموا أي : تخالطه وتداخله"[٥] وزاد الفيروزآبادي معنى معنى الستر فقال : " لأنها تخمر العقل وتستره "[٦].

فمن هذه الأقوال وغيرها يمكن القول : إن كل مسكر مخالط للعقل مغط عليه فهو خمر ، وهذا ما ذكره الواحدي ، ودلت عليه استعمالات لفظ الخمر ، يقول الخطابي : " والخمر : كل ما واراك وسترك"[٧].

٨ـ (دبب) :

---

(١) ينظر : لسان العرب ٤/ ٢٢٠ ، تاج العروس ١١/ ١٠٤ (حور).

(٢) البقرة (٢١٩).

(٣) البسيط ٤/ ١٤٩ .

(٤) الكليات ٤١٤.

(٥) جمهرة اللغة ١/ ٥٩١ (خمر) .

(٦) القاموس المحيط ١/ ٣٨٧ (خمر).

(٧) غريب الحديث للخطابي ٢/ ٣١٣ .

في قول الله – تعالى – : {إِنَّ شَرَّ الدَّوَابَّ عِندَ اللّهِ} [١].

يقول الواحدي : " وكل ما دَبَّ على وجه الأرض فهو من جملة الدواب " [٢].

إن عموم لفظ الدابة يجعله يشمل كل ما يدب على ظهر الأرض من مخلوقات عاقلة كانت أو غير عاقلة ، وها ما شاع في الاستعمال قبل أن يصيب هذا اللفظ شيء من التخصيص ودليل هذا العموم ما ذكره الزجاج في معنى لفظ الدابة عند تفسيره قول الله تعالى – {**وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَّاء فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ ... الآية**}[٣].حيث قال : " فدابة: "اسم لكل حيوان مميز وغيره ، فلما كان لما يعقل ولما لا يعقل قال (فمنهم) ولو كان لما لا يعقل لقيل : فمنها أو منهن " [٤].

ويزيد المعنى وضوحاً في موضع آخر فيقول : " الدابة : كل حيوان على الأرض مما يعقل وما لا يعقل ، وإنما هو من دبت على الأرض فهي دابة والمعنى : نفس دابة " [٥].

وقد تابعه الأزهري على هذا القول [٦]. وقال الجوهري : " وكل ماشٍ على الأرض دابة " [٧].

وأختم هذه الأقوال بتأصيل ابن فارس في قوله : " الدال والباء أصل واحد صحيح منقاس ، وهو حركة على الأرض أخف من المشي ، تقول : دب دبيباً ،

---

(١) الأنفال (٢٢).

(٢) البسيط ١٠/ ٨٣.

(٣) النور (٤٥).

(٤) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٥٠.

(٥) السابق ٤/ ١٧٣.

(٦) تهذيب اللغة ١٤/ ٥٥ (رب).

(٧) الصحاح ١/ ١٢٤ (رب).

وكل ما مشى على الأرض فهو دابة" [1].

ويستفاد مما سبق ذكره أن لفظ الدابة عام في كل ما دب على وجه الأرض ، وإنما دخله التخصيص من قبيل العرف حيث قد يدل على بعض المخلوقات دون بعض ، ولعل بعض العلماء أخرج العقلاء من مضمون دلالته ففي الكليات " كل شيء دب على وجه الأرض فهو دابة، وفي العرف يطلق على الخيل والحمار والبغل " [2] وقال الفيومي : " وأما تخصيص الفرس والبغل بالدابة عند الإطلاق فعُرْفٌ طارئ " [3].

٩ـ (رب) :

في قول الله – تعالى - : {**وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِين**} [4].

يقول الواحدي : " الرب في اللغة له معنيان ، أحدهما : أن يكون معناه من الرب بمعنى التربية ...

الثاني : أن يكون الرب بمعنى المالك ، يقال : رب الشيء إذا ملكه ... وكل من ملك شيئاً فهو ربه ، يقال : هو رب الدار ورب الضيعة" [5].

عمَّمَ الواحدي دلالة لفظ الرب حيث قال : وكل من ملك شيئاً فهو ربه ، وأكد دلالتهما على هذا المعنى بقولهم : هو رب الدار ورب الضيعة أي : مالكها .

وهذا التعميم لا ينفي دلالة لفظ الرب على المعنى الأول الذي ذكره وهو اشتقاقه من معنى التربية .

وبالرجوع إلى كتب اللغة تبين عموم دلالة هذا اللفظ على نحو ما ذكر

---

(١) مقاييس اللغة ٢/ ٢٦٣ (رب) .

(٢) الكليات ٤٣٨.

(٣) المصباح المنير ١/ ١٨٨ (رب)

(٤) الفاتحة (٢) .

(٥) البسيط ١/ ٤٨٦ ، ٤٨٧.

الواحدي ، ففي العين " ومن ملك شيئاً فهو ربه ، لا يقال بغير الإضافة إلا لله عز وجل "[١].

وبمثل هذا يقول ابن دريد : " الرب : الله – تبارك وتعالى – ورب كل شيء مالكه "[٢] وبه – أيضاً – قال الأزهري [٣].

هذا ودلالة لفظ رب على عموم معنى الملك مما أيده الاستعمال وتواتر الأقوال ، من ذلك قول ابن منظور: "ويقال : فلان رب هذا الشيء أي : مِلكُه له ، وكل من ملك شيئاً فهو ربه ، يقال : هو رب الدابة ، ورب الدار ، وفلان رب البيت ، وهن ربات الحجال" [٤] والمعنى في ذلك جميعه هو مالكه . وقد قرر الكفوي هذا العموم فقال : " كل من ملك شيئاً فهو ربه ، يقال : هو رب الدار ، ورب المال" [٥].

١٠ـ (زَبَرَ) :

في قول الله – تعالى - : {**وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا**}[٦].

يقول الواحدي : " قال أهل اللغة : الزبور : الكتاب ـ وكل كتاب زبور ، وهو فعول بمعنى مفعول ، كالرسول والركوب والحلوب ، وأصله من : زبرت بمعنى : كتبت "[٧].

نقل الواحدي عن أهل اللغة القاعدة الكلية التي تفيد أن كل كتاب زبور ، وأكد نقله ودعمه بذكر مأخذ الكلمة واشتقاقها بعد أن بَيَّن صيغتها الصرفية ، فهي فعول بمعنى

---

(١) العين ٨/ ٢٥٦ (رب).

(٢) جمهرة اللغة ١/ ٦٧ (رب).

(٣) ينظر : تهذيب اللغة ١٥/ ١٢٨ (رب).

(٤) لسان العرب ١/ ٣٩٩ (رب) .

(٥) الكليات ٤٥٦.

(٦) النساء (١٦٣).

(٧) البسيط ٧/ ١٩٤.

المفعول فالأصل فيها مزبور أي مكتوب كما أن الرسول بمعنى المرسل والركوب والحلوب بمعنى المركوب والمحلوبة .

وقد نص كثير من علماء اللغة على صحة ذلك ، من ذلك ابن قتيبة : "وأما الزبور فإنه من زَبَرَ الكتاب يزبره : إذا كتبه ، وهو فعول بمعنى مفعول مثل : حلوب بمعنى مجلوب ، وركوب بمعنى مركوب "[1] ويقول ابن دريد : "وزبرت الكتاب إذا كتبته فهو مزبور ... وأهل اليمن يسمون كل كتاب زَبْراً .... وأحسب أن اشتقاق الزبور من الكتاب إن شاء الله "[2].

وبمثل هذا ذكره الأزهري وابن منظور والزبيدي [3].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن بعض اللغويين قد قيد هذا العموم بكون الكتاب غليظاً ، ففي التعاريف يقول المناوي : "الزَّبَرُ : كتابة غليظة ، وكل كتاب غليظ الكتابة يقال له زبور"[4]، وتابعه الكفوي على هذا التقييد[5].

ومع هذا فإن وصف الكتاب بغلظة كتابته لا يُخرج هذه القاعدة الكلية عن عمومها ، فسواء أكانت كتابه الكتاب غليظة أم رقيقة فكل منهما يطلق عليه لفظ الزبور، ومن ثم فكل كتاب زبور .

١١ـ (زهق) :

في قول الله – تعالى – : {**وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا**}[6].

---

(١) غريب الحديث لابن قتيبة ١/ ٢٤٥.

(٢) جمهرة اللغة ١/ ٣٠٨ (زبر) .

(٣) ينظر: تهذيب اللغة ١٣/ ١٣٥ ، لسان العرب ٤/ ٣١٥ ، تاج العروس ١١/ ٣٩٩ (زبر).

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف ١٨٥.

(٥) الكليات ٤٨٦ .

(٦) الإسراء (٨١).

يقول الواحدي : " زهق : بطل واضمحل ، وأصله من قولهم : زهقت نفسُه تزهق زهوقاً وأزهقتها أنا أي : أهلكتها ، فكان معنى (وزهق الباطل) خرج إلى الهلاك ، قال الليث : وكل شيء هلك وبطل فقد زهق"[(١)].

بالرجوع إلى كتاب العين وما تبعه من كتب اللغة والمعاجم تبين وجود هذا التعميم المنصوص عليه في قول الواحدي .

ففي العين : " زهقت نفسه وهي ازهق زهوقاً أي : ذهبت ، وكل شيء هلك وبطل فهو زهق "[(٢)].

ولا ريب أن التعبير بلفظ (**ذهبت**) في عبارة الخليل إنما يدل على معنى هلكت ، وقد تابع الأزهري صاحب العين على هذا القول [(٣)]. وجاء في المقاييس " الزاء والهاء والقاف أصل واحد ، يدل على تقدم ومضى وتجاوز ، من ذلك : زهقت نفسه ، ومن ذلك : زهق الباطل ، أي : مضى "[(٤)].

وقال نشوان الحميري : " وزهق الباطل أي : اضمحل ، وكل شيء بطل فقد زهق " [(٥)].

وأرى أن التعبير عن الزهوق بالبطلان والخروج والهلاك والاضمحلال قريب بعضه من بعض ، وهذا ما يسوغ إطلاق هذا التعميم الدلالي للفظ زهق ، وبناء على ما تقدم يمكن القول : أن كل شيء هلك وبطل واضمحل قد زهق .

١٢ـ (سجد) :

في قول الله – تعالى – : {**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ**

(١) البسيط ١٣/ ٤٥١.

(٢) العين ٣/ ٣٦٣ (زهق).

(٣) ينظر : تهذيب اللغة ٥/ ٢٥٥ (زهق).

(٤) مقاييس اللغة ٣/ ٣٢(زهق) .

(٥) شمس العلوم ٥/ ٢٨٦٢ (زهق) .

إِبْلِيسَ}[1].

يقول الواحدي : " أصل السجود في اللغة : الخضوع التذلل ، وكل من ذل وخضع لما أمر به فقد سجد "[2].

من المؤكد أن أصل السجود في الدلالة اللغوية هو الخضوع والتذلل، وعليه فإن كل من ذل وخضع فقد سجد ، وهذا ما أثبته الواحدي بقوله السابق ، وقد ذكر ذلك كثير من علماء اللغة بعبارة مماثلة أو تكاد تكون .

ومن هذه الأقوال ما ذكره ابن قتيبة في قوله : " وكل شيء خشع وذل فقد سجد "[3].

وكذلك عبارة الأزهري: " وكل من ذل وخضع لما أُمِرَ به فقد سجد"[4].ومنه – أيضاً – قول ابن فارس : " السين والجيم والدال أصل واحد مطرد يدل على تطامن وذل ـ يقال : سجد إذا تطامن ، وكل ما ذل فقد سجد "[5].

١٣ـ (شيع) :

في قول الله – تعالى – : {**أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً**}[6].

يقول الواحدي : " الشيع : جمع شيع ، وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة "[7].

تواترت أقوال كثير من اللغويين على التصريح بعموم دلالة لفظ الشيعة لتشمل كل قوم اجتمعوا على أَمْر مَا وأبدأ في عرض هذه الأقوال مستعرضاً قول

---

(١) البقرة (٣٤).

(٢) البسيط ٢/ ٣٢٦.

(٣) غريب الحديث لابن قتيبة ١/ ١٦٨.

(٤) تهذيب اللغة ١٠/ ٣٠٢ (سجد) .

(٥) مقاييس اللغة ٣/ ١٣٣ (سجد).

(٦) الأنعام (٦٥).

(٧) البسيط ٨/ ٢٠٤.

الخليل بن أحمد إمام أئمة اللغة الذي قال : " والشيعة : قوم يتشيعون ، أي : يهوون أهواء قوم ويتابعونهم وشيعة الرجل : أصحابه وأتباعه ، وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة"(١).

ومن ذلك – أيضاً – قول الجوهري : " وكل قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم رأي بعض فهم شيع"(٢).

وقال ابن سيده : " والشيعة : القوم يجتمعون على الأمر "(٣).

وبمثل هذه الأقوال جاء قول الفيومي في المصباح حيث قال : "الشيعة : الأتباع والأنصار ، وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة "(٤).

ومع أننا نرى العموم في هذا اللفظ واضحاً في دلالته على كل قوم أمرهم واحد ، من خلال ما تم عرضه من أقوال بعض علماء اللغة ، إلا أننا نجد بعضهم قد أدخل فيه التخصيص يقول الكوفي : " ... وقد غلب هذا الاسم على كل من يتولى عليا – رضى الله عنه – وأهل بيته حتى صار اسماً لهم خاصة"(٥) " فإذا قيل : فلان من الشيعة عُرف أنه منهم ، وفي مذهب الشيعة كذا ، أي : عندهم"(٦).

١٤ـ (صبر) :

في قول الله – تعالى - : {**وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ**} (٧).

يقول الواحدي : " قال أبو عبيد : أصل الصبر الحبس ، وكل من حبس شيئاً

---

(١) العين ٢/ ١٩١ (شيع).

(٢) الصحاح ٣/ ١٢٤٠ (شيع).

(٣) المحكم ٢/ ٢١٤ (شيع).

(٤) المصباح المنير ١/ ٣٢٩ (شيع).

(٥) الكليات ٥٤٠.

(٦) تاج العروس ٣١/ ٣٠٣ (شيع).

(٧) البقرة (٤٤).

صبره "[1].

نقل الواحدي عن أبي عبيد قوله : أصل الصبر الحبس ، وحين نتتبع دلالة هذه الكلمة في كتب اللغة نجد أنها لا تخرج عن هذا المعنى ، فدائما ما نفسر الصبر بالحبس أي : حمل النفس على التحمل والتجلد ، وعدم إبداء السخط والجزع والقنوط .

ولذا فإن عموم دلالة لفظ الصبر على الحبس ، مما لا خلاف فيه، فكل من حبس شيئاً فقد صبره ، وهذا منقول عن أبي عبيد في غريب الحديث [2] وتابعه الأزهري في تهذيب اللغة [3] وبه قال ابن سيده في مخصصه [4] وذكر هذه القاعدة القاعدة العامة – أيضاً – كثير من اللغويين ، يقول ابن منظور: "وأصل الصبر الحبس ، وكل من حبس شيئاً فقد صبره"[5].

وكذلك نقله الزبيدي [6]. وعرفه الكفوي فقال : " الصبر : الحبس ، صبر عنه يصبره : حبسه .... وشهر الصبر : شهر الصوم "[7] وعلة تسمية شهر الصوم بشهر الصبر واضحة ؛ لما فيه من حبس النفس عن الطعام والشراب والشهوة وكل مفطر.

ويستخلص مما سبق أن دلالة لفظ الصبر عامة في كل حبس ، ومنه يمكن القول : إن كل من حبس شيئاً فقد صبره .

---

(١) البسيط ٢/ ٤٥١.

(٢) غريب الحديث لأبي عبيد ١/ ٢٤٥.

(٣) ينظر : تهذيب اللغة ١٢/ ١٢١ (صبر) .

(٤) ينظر : المخصص ٢/ ٦٩.

(٥) لسان العرب ٤/ ٤٣٨ (صبر).

(٦) بنظر : تاج العروس ١٢/ ٢٧١ (صبر).

(٧) الكليات ٥٦٠.

١٥ـ (طغى) :

في قول الله – تعالى - : {**وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُون**}[١].

يقول الواحدي : " الطغيان : مصدر كالرجحان والكفران والعدوان ... ومعناه : مجاوزة القدر ، وكل شيء جاوز القدر فقد طغى كما طغى الماء على قوم نوح ، قال الله – تعالى - : {**إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاء**}[٢].

وطغت الصيحة على ثمود فقيل فيهم : {**فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَة** }[٣]. وقيل لفرعون لفرعون : {**إِنَّهُ طَغَى**}[٤] أي : أسرف حيث ادعى الربوبية "[٥].

ذكر الواحدي : ما يدل على معنى الطغيان في دلالته على مجاوزة القدر ، وساق لذلك أمثلة من القرآن الكريم تؤكد صدق ما ذكره وتؤيده .

ومن خلال استعراض أقوال اللغويين في تحرير المعنى اللغوي لهذه الكلمة تأكَّد لنا أن حقيقة الطغيان هي مجاوزة القدر والحد ، ولا غرو مثل ما طغى الماء على قوم نوح ، وكما طغت الصيحة على ثمود"[٦].

وجاءت عبارة ابن دريد في الجمهرة على هذا النحو الآتي : " وكل متجاوز حده فقد طغى يطغى ، وطغى السيل : إذا جاء بماء كثير يتجاوز حد ما كان يجري عليه "[٧].

وبمثل هذا التعميم جاءت أقوال الأزهري وابن منظور والفيومي [٨]. وقد

---

(١) البقرة (١٥).

(٢) الحاقة (١١) .

(٣) الحاقة (٥) .

(٤) النازعات (١٧) .

(٥) البسيط ٢/ ١٧٤ ، ١٧٥.

(٦) العين ٤/ ٤٣٥ (طغى) .

(٧) جمهرة اللغة ٢/ ٩١٩ (طغى).

(٨) ينظر : تهذيب اللغة ٨/ ١٥٣ ، لسان العرب ١٥/ ٨ ، المصباح ٢/ ٣٧٣ (طغى) .

أصل له ابن فارس بقوله : " الطاء والغين والحرف المعتل أصل صحيح منقاس ، وهو مجاوزة الحد في العصيان"[١].

ولا عبرة بتقييد مجاوزة الحد بالعصيان كما ذكر ، وإنما هي مجاوزة الحد مطلقاً في العصيان وغيره ، ولكن لما كانت مجاوزة الحد مذمومة في ذاتها قرنت بالعصيان ، وكان من جاوز الحد فقد طغى ومن طغى فقد عصى .

وقد أكد ذلك قول الكفوي بلا تقييد : " كل شيء جاوز الحد فقد طغى"[٢].

١٦ـ (عضد) :

في قول الله – تعالى - : {**وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا**}[٣].

يقول الواحدي : " ولفظ العضد يستعمل كثيراً في معنى العون ، وذلك أن العضد قوام اليد ، منه الاعتضاد وهو التَّقَوِّى ، واعتضدت بفلان معناه : استعنت به ، ومن هذا قوله – تعالى - : {**سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ**}[٤] أي : سنعينك ونقويك ، وكل معين فهو عضد"[٥].

كل معين فهو عضد ، بهذا التعميم ختم الواحدي طائفة من الأقوال التي تؤكد صدق وصحة هذه العبارة ، فالعضد يستعمل كثيراً في معنى العون ، وهذا ما ذكره اللغويون .

يقول الأزهري : " قال الزجاج : ولفظ العضد على جهة المثل ؛ لأن اليد فوقها عضدها ، وكل معين فهو عضد ، وعاضدني فلان على فلان أي : عاونني "[٦] ومنه " المعاضدة : المعاونة ، واعتضدت بفلان أي : استعنت به "[١] فالعضد

---

(١) مقاييس اللغة ٣/ ٤١٢ (طغى).

(٢) الكليات ٥٨٠.

(٣) الكهف (٥١) .

(٤) القصص (٥٣).

(٥) البسيط ١٤/ ٥١.

(٦) تهذيب اللغة ١/ ٢٨٧ (عضد).

بوصفه عضواً من أعضاء الجسد يستعمل في معنى المعاونة والإعانة على سبيل الاستعارة ، وهذا ما أفاده قول الزجاج – السابق – ولفظ العضد على جهة المثل أي : ليس استعماله في معنى المعاونة من قبيل الحقيقة بل من قبيل المجاز .

ولهذا يقول ابن فارس في تأصيله : "العين والضاد والدال أصل صحيح يدل على عضو من الأعضاء يستعار في موضع القوة والمعين"[٢] ولكن شاعت هذه الاستعارة حتى قيل : إن كل معين عضداً ، والقرآن حافل بآيات كثيرة تعبر عن هذا المعنى ، قال – تعالى - : {**وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا**}[٣].

وهذا ما أجمع عليه جمع من اللغوين فقالوا : " وكل معين فهو عضد "[٤].

١٧ـ (غفر) :

في قول الله – تعالى - : {**وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ**}[٥].

يقول الواحدي : " أصل الغفر : الستر والتغطية ، وغفر الله ذنوبه أي: سترها ، كل شيء سرته قد غفرته " [٦].

لا ريب أن تأصيل المعنى لأي لفظ من الألفاظ دليل على عموم دلالة هذا اللفظ على ذاك المعنى ، فحين يقال : إن أصل الغفر هو الستر والتغطية ، يكون كل ستر فيه معنى الغفر ، ومن ثم فليس بمستنكر أن يقال : كل شيء سترته فقد غفرته . فالله غفور يغفر الذنوب أي سِتِّيرٌ يستر ذنوب العاصين ، والمغفر يكون تحت بيضة الحديد يغفر الرأس أي : يسترها والغفارة : خرقة تستر رأس المرأة تقي بها الخمار من الدهن [٧].

---

(١) الصحاح ٢/ ٥٠٩ (عضد) .

(٢) مقاييس اللغة ٤/ ٣٤٨ (عضد) .

(٣) الكهف (٥١).

(٤) ينظر : لسان العرب ٣/ ٢٩٤ ، زاد المسير ٣/ ٣٨٤.

(٥) البقرة (٥٨) .

(٦) البسيط ٢/ ٥٩٩.

(٧) السابق .

وهكذا تدور استعمالات هذا اللفظ على هذا المعنى ، يقول ابن دريد: " وكل شيء غطيته فقد غفرته ، ومنه المغفرة والغفيرة والغفران والغَفَر" [١] وقال الأزهري : " أصل الغفر : الستر والتغطية ، وغفر الله ذنوبه أي : سترها ولم يفضحه بها على رؤوس الملأ ، وكل شيء سترته فقد غفرته " [٢]. وبمثل هذا قال ابن منظور وغيره [٣].

كما أورد الكفوي هذا العموم فقال : " كل شيء سترته فقد غفرته"[٤] وأصَّل له ابن فارس بقوله : " الغين والفاء والراء عُظْمُ بابِه الستر"[٥] أي : جل معانيه تأتي على معنى الستر والتغطية.

١٨ـ (قطن) :

في قول الله – تعالى - : {**وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ**}[٦].

يقول الواحدي : " كل شجرة لا تقوم على ساق وإنما تمتد على وجه الأرض فهو يقطين ... كل ورقة اتسعت وسترت فهي يقطين" [٧].

نص الواحدي على أن كل ورقة اتسعت وسترت فهي يقطين، وهذا ما عليه جل علماء اللغة ، فهذا ابن الأنباري ينقل عن أبي عبيدة قائلاً : "كل ورقة اتسعت وسترت فهي يقطين"[٨].

ومن الملاحظ – هنا – اتفاق العبارتين المفيدتين لمعنى العموم تمام الاتفاق

---

(١) جمهرة اللغة ٢/ ٧٧٨ (غفر).

(٢) تهذيب اللغة ٨/ ١١٢(غفر) .

(٣) ينظر : لسان العرب ٥/ ٢٥ ، تاج العروس ١٣/ ٢٤٦ (غفر).

(٤) الكليات ٦٦٣ .

(٥) مقاييس اللغة ٤ / ٣٨٥ (غفر).

(٦) الصافات .

(٧) البسيط ١٩ / ١١٢.

(٨) الزاهر لابن الأنباري ١/ ٤٥٠.

، بل عن كثيراً من اللغويين قد أوردها كذلك دون تغيير[١].

هذا وقد ذهبت طائفة من العلماء إلى أن العموم في هذا المعنى إنما هو للشجرة التي لا ساق لها وليس للورقة . من ذلك قول أبي عبيدة: "كل شجرة لا تقوم على ساق فهي يقطين نحو الدَّبَّاء والحنظل والبطيخ"[٢] وقول النحاس نقلاً عن عن مجاهد : " كل شجرة على الأرض لا ساق لها"[٣].

وأرى أنه لا تعارض بين القولين ؛ لأنه إذا كانت الشجرة بلا ساق فليس ثمة لها إلا الأوراق ، فإن عبرت عنها بالشجرة فجائزٌ جواز تعبيرك بالأوراق .

ولهذا قد ذكر الواحدى وجها في تفسيره هذه الآية الكريمة قال عنه: لم يذكره المفسرون ، وهو : " أن اليقطين كان معروشاً ليحصل له ظل ، لأنه لو كان منبسطاً على الأرض لم يكن أن يستظل به " [٤].

أي : محمولاً على عريش حتى يمكن الاستظلال تحته ؛ لكونه بلا ساق تحمل أوراقه المُظَلَّة .

١٩ـ (كنز) :

في قول الله – تعالى - : {**وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ**} [٥].

يقول الواحدي : " وأصل الكنز في كلام العرب : الجمع ، وكل شيء جُمع بعضُه إلى بعض فهو مكنوز ، على ظهر الأرض كان أو في بطنها"[٦].

قال ابن فارس في تأصيل هذه المادة اللغوية : " الكاف والنون والزاء أصل

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة ٩/ ٢٣ ، لسان العرب ١/ ٥٦٥ ، تاج العروس ٣٦ / ٦ (قطن).

(٢) مجاز القرآن ٢/ ١٧٥.

(٣) معاني القرآن للنحاس ٦/ ٥٩.

(٤) البسيط ١٩ / ١٣٣ ، وينظر : تفسير الرازي ٢٦/ ٣٥٨.

(٥) التوبة (٣٤)

(٦) البسيط ١٠/ ٣٩٥

صحيح يدل على تجمع في شيء"[1].

وحول هذا المعنى دارت استعمالات هذا اللفظ في كتب اللغة ، يقول المطرزي : " كنز الماء كنزاً : جمعه "[2] " والكنز: الشيء اجتمع وامتلأ "[3].

وبناءً على هذا ساغ أن يُعبَّر عن كل شيء جمع بعضه إلى بعض بأنه مكنوز ، وهذا التعميم صرح به طائفة من العلماء .

من ذلك قول الكفوي : " كل شيء جمع بعضه إلى بعض فهو مكنوز"[4] وقد سبقه إلى القول بذلك الإمام الرازي وابن عادل والشربيني[5].

ففي روح المعاني : " والكنز في كلام العرب هو الجمع ، وكل شيء جمع بعضه إلى بعض فهو مكنوز ، يقال : هذا جسم مكنوز الأجزاء إذا كان مجتمع الأجزاء "[6].

٢٠ـ (مطو) :

في قول الله – تعالى - : {**ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى**}[7].

يقول الواحدي : " وفي يتمطى قولان : أحدهما : أنه من المطو وهو المد ... وكل شيء مددته فقد مطوته ، ويتمطى معناه يتمدد ... الثاني : أنه من المطِّ وهو المد – أيضاً – "[8].

إن الألفاظ ذات المعاني الكلية العامة لها من الصِّلات والروابط أوثقها

---

(١) مقاييس اللغة ٥/ ١٤١ (كنز)

(٢) المغرب في ترتيب المعرب ٤١٧

(٣) تاج العروس ١٥/٣٠٤ (كنز)

(٤) الكليات ٨٠٣

(٥) ينظر : تفسير الرازي ١٦/ ٣٥ ، اللباب لابن عادل ١٠/ ٨١ ، السراج المنير ١/ ٦٠٧ .

(٦) روح المعاني ٣/ ٤١٨

(٧) القيامة (٣٣).

(٨) البسيط ٢٢/ ٥٢٦.

بالمعنى الأصلي الذي تستعمل فيه وتعبر عنه ، لذا يمكن القول : إنه لما كان معنى المد هو الدلالة الأصلية للفظ المطو أمكن أن يقال : إن كل شيء مددته فقد مطوته

فأصل هذه المادة اللغوية ذكرها ابن فارس على هذا النحو فقال : "الميم والطاء والحرف المعتل أصل صحيح يدل على مَدِّ في الشيء وامتداد ، ومطوت بالقوم أمطو مطواً : مددت بهم في السير"[(١)] وكذلك سائر استعمالات هذا اللفظ إلى هذا المعنى .

يؤكد ذلك قول الخليل : " مُطِىَ في الشمس : مُدَّ وكل شيء مددته فقد مطوته ، ومنه المطو في السير ، ومنه يقال : يتمطي ، إنما هو تمديد جسده "[(٢)] وذكر ذلك – أيضاً – أبو عبيد القاسم بن سلام في غريبه [(٣)]. وتابعهما عليه الأزهري وابن منظور[(٤)].

يقول السمين الحلبي:" يقال : مطوت ومططت ومددت : كلٌّ بمعنى، وكل شيء مددته فقد مطوته " [(٥)].

(١) مقاييس اللغة ٥/ ٣٣٢ (مطو)

(٢) العين ٧/ ٤٦٣ (مطو).

(٣) ينظر : غريب الحديث لأبي عبيد ٣/ ٢٢٧.

(٤) بنظر : تهذيب اللغة ١٤/ ٣١ ، لسان العرب ١٥/ ٢٨٥ (مطو) .

(٥) عمدة الحفاظ ٤/ ٩٨.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد النبي الأمي العربي الأمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين ، ثم أما بعد ....،

فإنه من فضل الله ونعمته أن هداني إلى كتابة هذا البحث المتواضع المتعلق بكتابه الكريم ، لأدرس ظاهرة العموم في تفسير من أجل كتب التفسير ، وهو تفسير البسيط للعلامة أبي الحسن الواحدي ، وقد خرجت بعد هذا العمل اليسير بنتائج مفيدة أجملها فيما يلي :

١- يعد كتاب البسيط سفرا عظيماً من أسفار التفسير ، ومرجعاً هاماً لمعاني مفردات الكتاب العزيز ، كما أن به تنوعاً كبيراً في علوم التفسير واللغة .

٢- ميل الواحدي إلى تقرير المعاني الكلية ، ولهذا كثرت في تفسيره الألفاظ العامة التي تعبر عن الكثير من المعاني .

٣- ثراء الكتاب بقضايا نحوية وصرفية ولغوية ؛ الأمر الذي جعل الكتاب مقصداً جديراً بالبحث فيه ، وحقلاً هاماً لإنشاء الدراسات حوله .

٤- يعتبر تفسير البسيط للواحدي مصدراً أصيلاً من مصادر التفسير في القرن الخامس الهجري ، وهو ما حمل كثيرين – ممن جاؤوا بعده – على الرجوع إليه للأخذ منه تارة ، والاستدلال به تارة أخرى ، وفي هذا بيان لمنزلة الكتاب وصاحبه

٥- وختاماً أقول : لا غنى للمكتبة الإسلامية عن تفاسير الواحدي الثلاثة : إذ فيها تنوع في العرض والتفسير يتناسب وحال المطلعين عليها.

وأرجو الله العلى العظيم أن ينفع ببحثي هذا الناظرين فيه ، وأن يجعله ذخراً لي ولوالدي والمحبين ، كما أدعوه – سبحانه – أن يرزقني فيه الاستحسان والقبول " **اللهم آمين**".

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

دكتور

السيد عبد ربه محمد رجب

فهرس المصادر والمراجع

١- إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي – المكتبة العصرية – بيروت – ط الأولى ١٤٢٤ه.

٢- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي تح / محمد أبو الفضل إبراهيم – المكتبة العصرية – بيروت .

٣- تاج العروس من جواهر القاموس للزبدي – ط دار الهداية .

٤- التفسير الكبير للفخر الرازي – دار الكتب العلمية – بيروت – ط الأولى ١٤٢١ه – ٢٠٠٠م .

٥- تهذيب اللغة للأزهري تح / محمد عوض – دار إحياء التراث – بيروت – ط الأولى ٢٠٠١م .

٦- التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي – عالم الكتب – القاهرة – ط الأولى ١٩٩٠م .

٧- جمهرة أنساب العرب لابن حزم - دار الكتب العلمية – بيروت – ط الأولى – ١٩٨٣م .

٨- جمهرة اللغة لابن دريد ، تح / رمزي منير البعلبكي – دار العلم للملايين – بيروت – ط الأولى ١٩٨٧م .

٩- خصائص العربية ومنهجها الأصيل في التجديد والتوليد د/ محمد المبارك – ط معهد الدراسات العربية العالية التابعة لجامعة الدول العربية ١٩٦٠م.

١٠- روح المعاني للألوسي تح / على عبد الباري عطية – دار الكتب العلمية – ط الأولى ١٤١٥ه .

١١- زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي تح / عبد الرازق المهدي – دار الكتاب العربي – ط الأولى ١٤٢٢ه .

١٢- الزاهر في معاني كلمات الناس لابن الأنباري تح د/ حاتم الضامن –

مؤسسة الرسالة – ط الأولى ١٤١٢ه .

١٣- السراج المنير للخطيب الشربيني – مطبعة بولاق – القاهرة - ١٢٨٥ه .

١٤- سير أعلام النبلاء للذهبي – دار الحديث – القاهرة – ١٤٢٧ه – ٢٠٠٦م.

١٥- شذرات الذهب في أخبار من ذهب للعماد الحنبلي – مكتبة القدس .

١٦- شمس العلوم للنشوان الحميري تح / حسين عبد الله العمري – دار الفكر – بيروت – ط الأولى ١٩٩٩م .

١٧- الصاحبي في فقه اللغة ومسائلها لابن فارس – محمد على بيضون - ط الأولى ١٩٩٧م .

١٨- الصحاح للجوهري تح / احمد عبد الغفور عطا – دار العلم للملايين – ط الرابعة ١٩٨٧م .

١٩- طبقات الشافعية الكبرى للسبكي تح / محمود الطناحي ، عبد الفتاح الحلو – دار هجر – ط الثانية ١٤١٣ه.

٢٠- طبقات المفسرين للداودي – دار الكتب العلمية – بيروت .

٢١- طبقات المفسرين للسيوطي تح / علي محمد عمر – مكتبة وهبة – القاهرة – ط الأولى ١٣٩٦ه .

٢٢- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي .

٢٣- العين للخليل بن أحمد تح د/ مهدي المحزومي ، د/ إبراهيم السامرائي – دار مكتبة الهلال .

٢٤- غريب الحديث لأبي عبد القاسم بن سلام تح / محمد عبد المعين خان – دار المعارف العثمانية – حيدر آباد – ط الأولى ١٣٨٤ه – ١٩٦٤م .

٢٥- غريب الحديث لابن قتيبة تح د/ عبد الله الجبوري – مطبعة المعاني – بغداد – ط الأولى ١٣٩٧ه .

٢٦- غريب الحديث للخطابي تح / عبد الكريم الغرباوي – جامعة أم القرى – مكة المكرمة – ١٤٠٢ه .

٢٧- القاموس المحيط للفيروزآبادي – مؤسسة الرسالة – بيروت .

٢٨- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة – مكتبة المثنى – بغداد – ١٩٤١م.

٢٩- الكليات للكفوي تح / عدنان درويش ، محمد المصري – مؤسسة الرسالة – بيروت م- ١٩٩٨م .

٣٠- اللباب في علوم الكتاب لابن عادل تح /عادل عبد الموجود ، علي محمد معوض – دار الكتب العلمية – لبنان – ط الأولى ١٤١٩ه – ١٩٩٨م.

٣١- لسان العرب لابن منظور المصري – دار صادر – بيروت – ط الأولى .

٣٢- مجاز القرآن لأبي عبيدة تح / محمد فؤاد سركين – مكتبة الخانجي – القاهرة – ١٣٨١ه.

٣٣- المحكم والمحيط الأعظم بن سيده تح / عبد الحميد هنداوي – دار الكتب العلمية – ط الأولى ٢٠٠٠م .

٣٤- المخصص لابن سيده تح / خليل إبراهيم – دار التراث – بيروت – ط الأولى ١٤١٧ه – ١٩٩٦م .

٣٥- المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي تح / فؤاد منصور – دار الكتب العلمية - ط الأولى ١٩٩٨م.

٣٦- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للفيومي – المكتبة العلمية – بيروت .

٣٧- معاني القرآن وإعرابه للزجاج – عالم الكتب – بيروت – ط الأولى ١٩٨٨م .

٣٨- معاني القرآن للنحاس تح / محمد على الصابوني – جامعة أم القرى –

مكة المكرمة – ط الأولى ١٤٠٩ه .

٣٩- معجم الأدباء لياقوت الحموي تح / إحسان عباس – دار الغرب الإسلامي – بيروت - ط الأولى ١٩٩٣م .

٤٠- المغرب في ترتيب المعرب للمطرزي تح / محمود فاخوري ، عبد الحميد مختار – مكتبة أسامة بن زيد– حلب – ط الأولى ١٩٧٩م .

٤١- مقاييس اللغة لابن فارس تح / عبد السلام هارون – دار الجيل بيروت – ط الثانية ١٤٢٠ ه – ١٩٩٩م .

٤٢- الوافي بالوفيات للصفدي تح / أحمد الأرناؤوط ، تركي مصطفى – دار إحياء التراث – بيروت ١٤٢٠ه – ٢٠٠٠م .

٤٣- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان تح / إحسان عباس – دار صادر –

فهرس الموضوعات

الموضـــــوع	الصفحة
مقدِّمة	
دوافع دراسة ظاهرة العموم في التفسير البسيط للواحدي	
التمهيد : (ترجمة الواحدي)	
اسمه ونسبه	
كنيته	
مولده	
وفاته	
مذهبه وعقيدته	
شيوخه وتلاميذه	
أولاً : شيوخه	
ثانياً : تلاميذه	
مؤلفات الواحدي	
المبحث الأول : (ظاهرة العموم في الفكر اللغوي عند العرب)	
تعريف العام في اللغة	
تعريف العام في الاصطلاح	
عناية اللغويين بالعام	
المبحث الثاني : (ألفاظ العام في كتاب البسيط للواحدي)	

مواد الألفاظ موضع الدراسة (أم – ثخن – ثَنِىَ – حَجَجَ – حزب – حَوَرَ – خمر – دَبَبَ – رَبَبَ – زَبَرَ – زَهق – سجد – شَبَعَ – صَبَرَ – طغى – عضد – غفر – قكن – كنز – مطو) .	
الخاتمة	
فهرس المصادر والمراجع	
فهرس الموضوعات	